

مقطع من رواية قلوب لمدن قلقة / دينا سليم

الفراغ يقتلني، والوحدة التي أعاني منها تدعني أفعل كل شيء ولا شيء، أغدو وأروح في أروقة منزلي دون طعم، أدخل المطبخ، أبحث داخل الأدراج عن السكين لأقطع فيها البصل، مضيت فيها ونسيت أن السكين تبكي على ماضٍ لن يعد، أخذت الفرشاة ورحت أمسح الجدران، مسحت كل شيء، إلا أنها لم تمسح ذاكرة القلب، في غرفتي شيء ما ينتظرنني، فلم تزرها الشمس، النافذة فيها مغلقة منذ زمن طويل، جلست على حافة السرير، غادرتها الشمس المقتضبة ولم يبق سوى رائحة جواربي، دخلت غرفة الحمام، فتحت الماء وفتحت النافذة وتركت الهواء يختلط بالماء، اختلطت الأشياء، احترق الماء وانتشر البخار في المكان، منشفتي معلقة على الجدار، رائحة العفونة تغتال أنفي، أخذتها ونشرتها على حبل الغسيل، لعل الشمس تزيل ما تبقى من رائحة العطب، وربما أدعها تتطاير وتذهب مع الريح!

رتبت خزانتي، ثم أخرجت منها ملابسني ووضعتها على الأرض، وأغلقت بابها على رفوف فارغة، أعود إلى فتحة النافذة أراقب الناس من بعيد وكأني حبيسة داخل القضبان، لا أنتظر أحداً، وإن انتظرت زوجي فكأنه غير موجود، سيدخل كما في كل مرة متجهماً غاضباً يتمتم ويتوعد العالم الخارجي الذي وحسب رأيه عالم كافر بما يفعل وما لا يفعل، يدين وينتهم، يحرم ويحلل، ويطلق الأحكام المسبقة وكأنه النبي المرسل من السماء، والذي أرسله الله لكي يختار ويغربل، لن أسمع منه سوى المواعظ الدينية والنصائح الرتيبة. أستمع إلى تفاهاته وأوهمه بالموافقة على أقواله وعقلي يشدني إلى البعيد، إلى هناك، إليه، أردت أن أقول وأبوح، أن يصله صوتي، أن يسمع ما يما يدور في عقلي الآن! وأتساءل، لماذا قرر هذا القرار الصعب بسرعة، ولماذا لم يعد يدخل ركن الدردشة؟

لكن صوت زوجي كان دائماً حاضراً يحاصرني.

ما زلت أعيش احساس النشوة، أشعر بلذة الحياة، جسدي يأبى السبات، الحنين يؤرقني، ليس سهلاً عليّ دفن ما يؤرقني ليالٍ طوالاً، أفرح عندما أحلم بلحظات تعيد إليّ النشاط فيتورد وجهي وتزدهر عينايا كلما نشطت داخلي الدورة الدموية، يغطيني فرح عارم لا أدري مصدره، قشعريرة تعم جسدي الناعم كلما أطعمته بعض لمساتي دون أن أتدرب على اللمس، أمدّ كفي ألمس بطني، صدري، وساعدي فرقتي، فصدري مجدداً ثم، حيث تستقر.

جسدي يصحو من الذبول كلما عدتُ إليه وأنا أحمل صورة (مودي) معي إلى الفراش،
صدري يعلو وينخفض، نبضات قلبي تتسارع، أتعرِّق وألهث، أبحث عنه، أجده يصخب
مثلي ويأرق، يهفو إلى صورتني فتزبغ نظراته، يأخذها معه إلى الفراش، يقترب منها
يقبّلها فينبل، ترف عيناه ويسكن خاطره، تتجمّد زفراته، تجفل رموشه فيأخذ
استراحة بسيطة من الوجود، ينضوي ويأبى الاستيقاظ من جموده، ويثور، نذهب إلى
البعيد معا، نبدأ المشوار بتلهف مسموع، نخترق القوانين وفقا للممنوع، يقرعون
الدفوف حولنا فيحاصرونا داخل دائرة، جميعهم غرباء، لا يعرفونا ولا نعرفهم، لكنهم
يقرعون بدون انقطاع الدفوف التي تهتز بعنف بين أيديهم، ضجيجها يتحدى الوعي، لا
مجال للتفكير فالقرع يتسارع.

كلنا نلف وندور، كلنا مصابون بالدوار، من كثرة الأسباب أصبنا بدوار الضحك، لا حاجة
للفلسفة ولا للفلاسفة، فنحن التائهون في بحر اللذة أهمهم، فاقدو المركز، فاقدو
الحواس، نور خافت جميل يودعنا في دوامة العشق، هالة مضيئة تنحني لنا، فتصغي
لتأوهاتنا، أسمع قلبي، أسمع صدى روحي، رعشة الموت تهزني، في عمق الأعماق
تضعني، يغادرني روح الوعي في عالم ينبذ الوعي، استنفرت ذاكرتي وكانت دائما
حاضنتي.

سكنت الإيقاعات داخلي، حلّقت في سماء لا تشبه عالمي، سماء رسمتها كما أشتهيها،
استرحت بعمق الهدأة بعد الصّخب فالمثول أمام الحقيقة رجفة وصعقة، رعشة
جميلة تدعني إلى الابتسام والتطلع طويلا إلى صدر السماء